بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرة دينية

فضيلة الشيخ الدكتور محمد أحمد عبد الغني



بعنوان :

(كيف نحمي أبناءنا من التضليل الرقمي؟)

بناء الوعي والتفكير الناقد في عصر الذكاء الاصطناعي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الآباء والأمهات، سؤال أود أن أبدأ به: كم مرة شاهد أحد أبنائنا مقطعًا أو قرأ خبرًا، ثم صدّقه ونقله إلى غيره، قبل أن يتأكد من صحته؟

لقد دخل العالم عصرًا رقميًّا مفتوحًا، أصبحت فيه المعلومات والصور ومقاطع الفيديو تصل إلى أبنائنا في لحظات، عبر الهواتف ووسائل التواصل والألعاب الإلكترونية. وفي هذا العالم فرص عظيمة للتعلم والمعرفة، لكن فيه أيضًا أخبار كاذبة، وصور معدّلة، ومقاطع مجتزأة، وإعلانات مضللة، وأفكار قد تؤثر في عقول الأبناء وقيمهم وسلوكهم.

ولذلك لم تعد حماية الأبناء مسؤولية المدرسة وحدها، ولا يكفي فيها منع الهاتف أو مراقبة بعض المواقع؛ بل نحن بحاجة إلى بناء عقل واعٍ يعرف كيف يميّز الحقيقة من الخداع، وإلى علاقة أسرية تجعل الابن يلجأ إلى والديه عندما يواجه أمرًا يثير حيرته أو خوفه.

أولًا: ما التضليل الرقمي؟ وكيف يقع الأبناء في فخه؟

التضليل الرقمي هو تقديم معلومات كاذبة أو محرّفة أو مجتزأة، أو استخدام الصور والمقاطع والسياقات بطريقة توهم المتلقي بحقيقة غير صحيحة. وقد يكون ذلك بقصد التأثير في آراء الناس أو سلوكهم، أو لجذب المشاهدات، أو لتحقيق مكاسب مالية، أو لنشر الشائعات والأفكار المضللة.

ومن أبرز صوره:

- **الأخبار والشائعات الكاذبة** :خبر قديم يُنشر على أنه جديد، أو معلومة مجهولة المصدر تُقدَّم وكأنها حقيقة مؤكدة.
- **التزييف بالذكاء الاصطناعي** :صور أو أصوات أو مقاطع فيديو تُصنع أو تُعدّل بحيث يبدو أن شخصًا قال أو فعل شيئًا لم يحدث.
- **الإعلانات المبطنة** :يروّج بعض صناع المحتوى لمنتج أو فكرة وكأنها تجربة شخصية بريئة، دون أن ينتبه المتابع إلى الغرض الإعلاني.
- **المعلومات الصحية الخاطئة** :نصائح علاجية أو وصفات خطرة تنتشر دون دليل موثوق.
- **المحتوى الفكري والأخلاقي المضلل** :محتوى يقدّم أفكارًا أو سلوكيات بطريقة جذابة، وقد يخفي جوانبها الضارة أو يعرضها عرضًا مشوهًا.

ولماذا يصدق الأبناء بعض هذه المواد؟

لأن التضليل قد يستغل الفضول والخوف والغضب والحماس والرغبة في تقليد الآخرين. كما أن بعض المنصات تقترح محتوى يشبه ما شاهده المستخدم أو تفاعل معه سابقًا، فيتكرر أمامه الاتجاه نفسه، حتى يظن أن ما يراه يمثل الحقيقة كلها.

وهنا ينبغي أن نفهم أن كثرة المشاهدات أو الإعجابات لا تثبت صحة المعلومة، وأن جودة الصورة والصوت لا تعني أن المقطع حقيقي.

ثانيًا: لماذا تعد حماية الأبناء مسؤولية شرعية وتربوية؟

أيها الأحبة، الأبناء أمانة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» متفق عليه.وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: 6].

وتشمل مسؤوليتنا تعليم أبنائنا ما ينفعهم، وتحذيرهم مما يضرهم، ومساعدتهم على حماية عقولهم وأخلاقهم وأمنهم الشخصي.

فقد يقود التضليل إلى تصديق الشائعات، أو اتباع تحديات خطرة، أو الوقوع في الاحتيال والابتزاز، أو تبني أفكار خاطئة، أو الشعور بالخوف والنقص نتيجة مقارنة الحياة الواقعية بصور مصطنعة عن حياة الآخرين.

لكن الحماية لا تعني أن نزرع الخوف في نفوس أبنائنا من كل ما يرونه، بل أن نعلّمهم التمييز، ونمنحهم القدرة على السؤال والتحقق، ونوضح لهم أن الاعتراف بالخطأ وطلب المساعدة فضيلة، لا عيب.

ثالثًا: علّموا أبناءكم قاعدة التثبت

من أعظم القواعد التي ينبغي أن يتربى عليها الأبناء ألا يصدقوا كل ما يسمعونه أو يشاهدونه، وألا ينشروا كل ما يصل إليهم.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6].

وهذه الآية تؤسس لمبدأ عظيم: التثبت قبل الحكم والتصرف، حتى لا نظلم أحدًا أو ننشر خبرًا يسبب الضرر.

درّبوا أبناءكم على خمسة أسئلة قبل تصديق أي خبر أو مشاركته:

1. من نشر هذا المحتوى؟ هل المصدر معروف ويمكن الرجوع إليه، أم حساب مجهول؟
2. ما هدفه؟ هل يريد إخباري بحقيقة، أم بيع منتج، أم إثارة الخوف والغضب، أم زيادة المشاهدات؟
3. ما الدليل؟ هل توجد مصادر مستقلة وموثوقة تؤكد المعلومة؟
4. متى نُشر؟ هل الخبر جديد فعلًا، أم أنه قديم أُعيد نشره في سياق مختلف؟
5. هل تحاول العاطفة التأثير في حكمي؟ إذا أثار المقطع غضبًا شديدًا أو خوفًا أو حماسًا عاجلًا، فلنتوقف ونتحقق قبل اتخاذ موقف أو نشره.

ويمكن تلخيص القاعدة للأبناء بعبارة سهلة :توقّف، تحقّق، ثم قرّر: أصدّق أم أرفض أم أمتنع عن النشر؟ ولا ينبغي أن نجعل هذه الأسئلة سببًا للشك في كل شيء، بل وسيلة للتمييز بين ما ثبت وما لم يثبت.

رابعًا: كيف نكشف المحتوى المزيّف؟

لم يعد ممكنًا الاعتماد على الصورة أو الصوت وحدهما لإثبات صحة كل ما نراه؛ فقد تُعدّل الصور، وتُركّب الأصوات، وتُنشأ مقاطع واقعية المظهر باستخدام الذكاء الاصطناعي.

لذلك علّموا أبناءكم ما يلي:

- لا تحكموا على صحة مقطع لمجرد أنه يبدو واقعيًّا.
- ابحثوا عن الخبر في أكثر من مصدر مستقل وموثوق.
- تحققوا من تاريخ الصورة أو المقطع وسياقه، فقد يكون صحيحًا لكنه يُستخدم لتضليل الناس.
- لا تعتمدوا على علامة واحدة أو أداة آلية للحكم على التزييف؛ فقد تخطئ أدوات الكشف أيضًا.
- في المعلومات الطبية أو الدينية أو المسائل المهمة، ارجعوا إلى أهل الاختصاص والمصادر الموثوقة، ولا تجعلوا مقطعًا قصيرًا بديلًا عن المعرفة المتخصصة.وإذا لم نستطع التأكد من صحة خبر، فليس من الواجب أن نتبنى موقفًا منه أو نعيد نشره؛ بل قد يكون الامتناع عن النشر هو التصرف الأصح.

خامسًا: من الرقابة وحدها إلى الوعي والثقة

لا تكفي البرامج التقنية وحدها لحماية الأبناء، كما أن تركهم بلا توجيه ليس حلًّا. المطلوب هو الجمع بين الحماية التقنية والتربية والحوار.

1. استخدموا أدوات الحماية المناسبة.فعّلوا إعدادات الخصوصية والبحث الآمن والرقابة الأبوية الملائمة لأعمار الأبناء، وراجعوا صلاحيات التطبيقات وإمكانية تواصل الغرباء معهم. فهذه الأدوات تقلل بعض المخاطر، لكنها لا تمنعها كلها.
2. شاركوهم بعض وقتهم الرقمي.اجلسوا معهم أحيانًا أثناء التصفح، واسألوهم عن المقاطع التي يتابعونها، وناقشوا الإعلانات والأخبار بهدوء. لا تجعلوا كل حديث عن الإنترنت تحقيقًا أو محاكمة.

3. ابنوا جسرًا من الثقة.إذا شاهد الابن محتوى مخيفًا أو مضللًا، أو تعرض لتهديد أو ابتزاز، فينبغي أن يشعر بالأمان عند اللجوء إليكم. فإذا كان يخشى الإهانة أو العقاب الشديد، فقد يخفي المشكلة حتى تتفاقم.

4. اغرسوا الرقابة الذاتية.علّموا أبناءكم أن الله تعالى مطّلع على أعمالهم في السر والعلن، وأن مسؤولية الإنسان لا تتوقف عند غياب رقابة الوالدين. والمقصود بناء ضمير واعٍ يختار الصواب عن اقتناع، لا الاكتفاء بالخوف من اكتشاف الخطأ.

5. قدّموا البدائل النافعة.ساعدوا أبناءكم على ممارسة الرياضة والقراءة والهوايات والتواصل الواقعي، ونظّموا أوقات استخدام الأجهزة، خصوصًا أثناء الدراسة والنوم والاجتماعات العائلية.

سادسًا: ماذا نفعل إذا وقع الابن في التضليل؟

إذا اكتشفتم أن ابنكم صدّق خبرًا كاذبًا، أو شاهد محتوى غير مناسب، فلا تجعلوا أول رد فعل هو السخرية منه أو وصفه بالسذاجة. اسألوه كيف وصل إلى المعلومة، وما الذي جعله يصدقها، ثم ساعدوه على التحقق منها وفهم موضع الخلل.

وإذا نشر خبرًا خاطئًا، علّموه أن يصححه أو يحذف منشوره، وأن الاعتراف بالخطأ علامة نضج ومسؤولية. أما إذا تعرض لابتزاز أو تهديد، فطمئنوه، واحتفظوا بالأدلة اللازمة بطريقة آمنة، وأوقفوا التواصل مع المبتز، واستعينوا بالجهات المختصة أو أشخاص موثوقين بحسب طبيعة الخطر. ولا تلوموا الطفل على طلب المساعدة. إن هدفنا ليس تربية أبناء لا يخطئون، بل تربية أبناء يعرفون كيف يراجعون أنفسهم، ويصححون أخطاءهم، ويطلبون المساعدة عندما يحتاجون إليها.

التطبيق العملي: اتفاق الأسرة الرقمي

أدعو كل أسرة إلى تخصيص جلسة قصيرة مع الأبناء، والاتفاق على خمس قواعد:

1. لا ننشر خبرًا قبل التثبت من مصدره.
2. لا نشارك صورنا الخاصة أو معلوماتنا الشخصية مع الغرباء.
3. لا نصدق الصور والمقاطع لمجرد أنها تبدو حقيقية.
4. نخبر أحد الوالدين أو شخصًا بالغًا موثوقًا إذا تعرضنا لتهديد أو محتوى مريب.

5. نخصص وقتًا بلا أجهزة للدراسة والعبادة والطعام والحوار الأسري.

ويمكن كتابة الأسئلة الخمسة للتثبت في بطاقة صغيرة وتعليقها في المنزل، لتكون تذكيرًا عمليًّا لكل أفراد الأسرة.

خاتمة المحاضرة

أيها الآباء والأمهات، إن أبناءنا يعيشون في عالم تتدفق فيه المعلومات بلا توقف، ولا نستطيع أن نكون معهم في كل لحظة، أو أن نمنع عنهم كل محتوى مضلل. لكننا نستطيع أن نمنحهم ما هو أبقى من الرقابة المستمرة: عقلًا يسأل، وبصيرة تميّز، وضميرًا يراقب الله، وأسرة يجدون عندها الأمان والنصيحة.

فلا نكتفِ بسؤال أبنائنا: ماذا تشاهدون؟ بل نسألهم أيضًا: كيف عرفتم أن هذا صحيح؟ وما دليلكم؟ وهل فكرتم في الهدف من نشره؟

ولنكن قدوة لهم في التثبت، فلا ننقل نحن الشائعات، ولا نشارك الأخبار المثيرة قبل التحقق منها؛ لأن التربية بالأفعال أبلغ من النصائح.

إن معركتنا مع التضليل الرقمي ليست معركة ضد التقنية، بل معركة من أجل الوعي وحسن الاختيار. ولن نحمي عقول أبنائنا بالصراخ وحده، ولا بالمنع وحده، بل بالعلم والحوار والقدوة والثقة، مع استخدام وسائل الحماية المتاحة.

نسأل الله تعالى أن يحفظ أبناءنا وبناتنا، وأن ينير بصائرهم، ويرزقهم العلم النافع، والتمييز بين الحق والباطل، وأن يعيننا على أداء الأمانة وتربيتهم بالحكمة والرحمة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين

الدكتور محمد عبد الغني